obeikan.com

المستقبل

obeikan.com

عندما تطورت المجتمعات البشرية ظهرت «القوة» كظاهرة تاريخية متواصلة التغيير مستمرة النمو ، تنطوي دائماً علي مستويات التطور البطيء لبعض المجتمعات فى اتجاهها ومن البروز المتميز لبعضها الآخر ولأسباب عده وعلي الرغم من ظهور آراء متباينة بشأن دواعي ظهورها واختلاف إيقاعاتها فإن تجليها المبكر فى بعض مناطق العالم قد جعل منها ظاهرة حضارية عميقة الجذور كما دفع ارتباطها العميق بالحرب والسلام معاً محاولة تحديد شروطها ومقوماتها خاصة مع تغير نماذجها في مرحلة تاريخية واقتران هذا التغيير بحركاتها المكانية أيضًا من منطقة إلى أخرى . وهنالك ارتباط وثيق بتاريخها أي أن القوة تجسدت علمياً قبل ظهور الدولة والدولة قد سبقتها بمرحلة طويلة من نمو القوة الحضارية بين المجتمعات البشرية .

وكذلك نجد أن قوة الدولة تتجدد عناصرها السياسية مثل الاستقرار والتكوين السياسي والمصلحة المشتركة لذا نجدها تجمعت في أحواض الأنهار الزراعية قبل غيرها وتعدد ظهورها فى صورتها المركزية. حقيقة أن الدولة كإطار للقوة (الحضارية) قد اقترنت تاريخياً بالمجتمعات المستقرة أما الجماعات الأخرى التى بقيت على ترجلها فإنها لم تحقق سوى خطوه محدود فى مجال احتشادها الاجتماعي والسياسي تلك هي خطوه تجمع عشائر ها في إطار القبيلة التي قدمت إطارًا يستند إلى الروابط الأنتولوجية (علاقة القرابة + الدم) بصفة أساسية وتحددت المصلحة المشتركة حيث بطونها فى الماء والمرعى والأمن ويتراوح إيقاع حياتها بين الاستقرار المؤقت (البئر) والترحل (المطر) فإذا ما حققت فائضاً هامشاً بددته المواسم البيئية والمنازعات فيما بينها، غير أنها قد تميزت بتنظيم داخلي متماسك يشد مكوناتها ويمثل حدودها فعندما ينتهى نفوذ القبيلة تبدأ حدودها . فالقبيلة المنظمة أشبه بدولة تتحرك معها باستمرار حدودها ومن هنا القول بأن القبيلة (وليس الأرض) وطن لأفرادها لا تحيط حدودها بمساحة بل

بمجتمع، إلا أن القبيلة لم يقدر لها أن تشكل دولة إلا نادراً على الرغم من أن حركة القبائل الرعوية عبرت أوضاع المناطق المجاورة وعدلت من مساراتها التاريخية إلا أن القبائل التي قامت بها بقيت على تكوينها تحتفظ بخصائصها مجرد كيان متحرك عند حد الكفاف [1].

وبعد هذه الملاحظات حول مفهوم القبيلة والدولة وعلاقتها بالقوة فإننا نود أن نشير إلى أن هذه المفاهيم تمثل أحد مسببت الصراع القبلي في السودان بل تمثل جزءًا لا يتجزأ من جذور ه المتشابكة، فالقبائل السودانية – لاسيما المتصارع منها- تتميز بنشأتها البدائية تحت قيادة أو أمير أو زعيم ولم تشكل هاجساً أمنياً منذ أمد بعيد لدى السلطات الحاكمة للسودان ولم تظهر للسطح نزاعات قبلية بشكل معروف فى تاريخ الصراع القبلي التي تميزت به القارة الأفريقية منذ الهجرات الأولى لها من ليبيا إلا في الآونة الأخيرة لان الصراع فى الماضي القريب كان متمحورًا حول المراعى ومصادر المياه وم يخرج من إطار كونه خرقاً أمني بل كانت صراعات يسهل احتواءها من خلال مجالس (الأجاويد) والصلح ودفع التعويضات للأطراف المتضررة كما كان سابقاً، ومع تعاقب أنظمة الحكم المختلفة وسن العديد من التشريعات والقوانين الخاصة بالحكم المحلى والإقليمي طرأت مستجدات لم تكن معروفة سلفاً حيث فضلت بعض المجموعات القبلية الاستقرار بدلاً عن الرعي وذلك لأن كل القبائل الرعوية في حقيقة الأمر قبائل تمزج بين الرعي والاستقرار لأن الظروف الاقتصادية الطبيعية في هذه القبائل تستدعى ذلك وعندما وقعت الكارثة الطبيعية فى عام ١٩٨٥م، واستقرت نسبة كبيرة جداً منها أثر الجفاف والتصحر الذي ضرب البلاد وجزء آخر نزح إلى المدن بينما فضلت مجموعات أخرى بناء مجتمعات جديدة مستقرة كخطوة أولى نحو إنشاء مجالس ريفية لهذه المجتمعات الجديدة التي تطورت

(١) أ.د عمر الفاروق سيد رجب ، قوة الدولة دراسات جيو ستراتيجية ، مكتبة مدبولى ١٩٩٢م .

شيئاً فشيئًا إلى مجالس حكم ويتم التصعيد إليها سواء بالانتخابات أو التعيين في المجلس الإقليمي بل تطلعت إلى البرلمان المركزى، بجانب مجموعات قبلية أخرى ترغب فى زيادة الرقعة التى تقيم بها (الحواكير) وهي الأراضي لزيادة نصبها من المجالس سابقة الذكر وبالتالي تمكين أفرادها من الوصول إلى السلطة الإقليمية والمركزية، وبطبيعة الحال لابد أن يؤدى ذلك كله إلى العديد من المشكلات بين القبائل والتي تطورت فى بعض الأوقات إلى صراعات عنيفة في بعض مناطق غرب السودان والذي يتميز عن بقية أقاليم السودان الأخرى بأنه يمثل وعاء قبلياً كبيراً تموج فيه مصالح كل قبيلة على حده فضلاً عن ثقافتها المحلية وواقعها الاجتماعي والاقتصادي إلى الحد الذي بلغت فيه الصراعات القبلية الوجه الآخر لمشكلات الأقاليم الأمنية أما قبائل الشمال والشرق المتمثل في أقاليم كردفان لم تظهر فيه هذه المشاكل القبلية التي نجدها فى الشق الآخر من الغرب فكل الصراعات قائمة على أساس طبقي ومستوى التحضر في القبيلة بل داخل القبيلة الواحدة أي أنه لم يرتقى إلى مستوى الصراعات أو النزاعات كما في دارفور إذا استثنينا ذلك الصراع الذى نشأ فى شرق السودان بين قبيلتي الرشايدة والبجة الذي حسم وتم احتواؤه دون إحداث آثار عميقة الجوانب والذي وصل فيه الصراع القبلي إلى حد النزاع المسلح كما حدث حركة تحرير السودان المتمثل في صراع الدينكا التي تعتبر من القبائل المؤسسة للحركة والقبائل الأخرى النابع من إحساس هذه القبيلة التي تحتل مراكز كبيرة في الجنوب ويعتبر هذا الصراع غير مهدد للأمن داخلها ولكنه لصالح القوة الحاكمة في البلاد لأنه يستفيد.